«الشاذلى» ضابطا بالحرس الملكى

تعتبر مرحلة الأربعينيات من المراحل الهامة فى الحياة العسكرية والخاصة للملازم أول «سعد الشاذلى»، ففى عام ١٩٤٣م التحق بالحرس الملكى - مشاة - منتدبا من القوات المسلحة مع النخبة المتميزة من الضباط المكلفين بحماية (الملك فاروق) وحماية القصور الملكية والحفاظ على أمنها فى الفترة من ١٩٤٣م : ١٩٤٩م حدث خلالها الكثير من الأحداث السياسية تزامنت مع تطورات أخرى فى الحياة الخاصة للملازم أول «سعد الشاذلى».

فعلى الجانب الشخصى وتحديدا فى منتصف الأربعينيات بدأ «الشاذلى» حياته الزوجية مع زوجته (زينات السحيمى) التى تنحدر من عائلة عسكرية، فوالدها هو متولى باشا السحيمى الذى كان مديرا للكلية الحربية آنذاك، وأشقاؤها الضباط محسن متولى فى سلاح الحدود، و فايز متولى بسلاح الإشارة، وسعد متولى الذى أصبح كبير الياوران فيما بعد.

بدأ الملازم أول « سعد الشاذلى» حياته الزوجية بمسكنه بحى العباسية، مجاورا زميله الضابط جمال عبد الناصر فى نفس العمارة التى ضمت أسرتيهما معا، وأنجب «الشاذلى» خلال السنوات الأولى

من زواجه طفلته الأولى (شـهدان) وبعد ثلاث سـنوات جاءت (سامية) وفرح «الشاذلى» بزيادة عدد أسرته بزهرتى عمره (شهدان وسامية).أما زوجته (زينات) فكانت تتمنى لو أسعدتها الأيام بإنجاب الولد، وكانت تخشـى ألا تحقق لها الأيام أمنيتها، ودفعها الأمل فى تحقيق أمنيتها إلى تكرار محاولة الإنجاب للمرة الثالثة، واختارت للمولود المرتقب اسم (طارق) وأعدت ملابسه وترقبت وصوله حتى جاءت اللحظة المرتقبة.

وبينما كان «الشـاذلى» يستقبل المهنئين بميلاد مولوده الثالث كانت زوجتـه «زينات» تبكـى حظها العثر الذى لم يأتهـا بمولودها طارق، وجاءت بدلا منه مولودتها (ناهد) ليرتفع بمجيئها عدد بنات «الشاذلى» إلى الرقم ٣ (شـهدان وسامية وناهد)، وتجاوز «الشاذلى» الأب بفرحته وفكره الواسـع كل العـادات القديمة فى تمييز الصبيـان عن البنات، وحاول أن يسـاعد زوجته فى التغلب على حزنها، فوعدها أن يُنشـئ بناته تنشـئة خشـنة ويقوم على إعدادهن إعداد الرجال، حتى تحظى زوجته فى المستقبل بثلاث نساء يحملن صفات الرجال التى تمنتها فى الولد الذى لم تسـعدها الأيام بإنجابه،فحرص «الشـاذلى» على تدريب بناته على الاعتماد الكامل على أنفسـهن فى مواجهة صعوبات الحياة ليسلكن مسلك الرجال عندما يشتد عودهن للحياة.

وفى منزلهم بالعباسـية عاشـت أسرة «الشاذلى» سـنواتها الأولى، وربطت بينها وبين أسرة جارهم الضابط (جمال عبد الناصر) الذى كان

يقطن الطابق الأعلى علاقات طيبـــة بعدما تقاربت أعمار الصغار (أبناء الشاذلى وأبناء عبد الناصر) وتزاملوا فى دراساتهم فى مراحل تعليمهم المختلفـة وزادت روابــط الجيرة مــن توطيد العلاقات بين الأســرتين.
(رواية شهدان الشاذلى)

الشاذلى يكشف أسرار حرب فلسطين

فى القصر الملكى، حيث عمل الملازم أول «سـعد الشـاذلى» وتحديدا فى نوفمبر١٩٤٧م، كانت أجواء القصر يشوبها بعض القلق والتوتر بعد إعلان الأمم المتحدة عن تقسيم فلسطين، وكان لهذا الإعلان وقع المفاجأة الصادمة لكل الــدول العربية ومصر، فبادر الملك فــاروق بالدعوة لعقد مؤتمر عربى يضم ملوك ورؤســاء الدول العربية فى منطقة (أنشــاص) بمصر، واتفقوا فى المؤتمر على إرسـال كتائب عربية موحدة من جيوش الدول المشــاركة (العراق، الأردن، ســوريا، الـسودان، لبنان، مصر، اليمــن، وباقى الدول العربية) لإرســالها لقتال اليهود فى فلســطين تعبيرا عن رفضهم لقرار التقســيم اعتبارا من ١٥ مايو ١٩٤٨م، ووقتها وحــدت حرب فلســطين بين العرب فى أروع صــور الوحدة وراء هدف واحد هو القضاء على اليهود فى فلســطين، وتصورت القيادات العربية واهمة فى ذاك الوقت بحساباتها النظرية ،أن الفصر للعرب لا محالة، إذ كانــوا يعتقدون وقتها بأن اليهود فى فلســطين مجرد عصابات يمكن للجيوش العربية إبادتها عند أول مواجهـة وبأدنى خسائر.

وفورعلم الملازم أول «سعد الشـاذلى» بقرار مشاركة مصر فى حرب فلسطين، أسرع بمقابلة عاجلة مع (القائمقام) العقيد حلمى عبد الرحمن رئيس الحرس الملكى، ولكن لم تمض من المقابلة إلا لحظات حتى ارتفع صـوت العقيد حلمى عبـد الرحمن ينهـر «الشـاذلى» ويعنفه، فخرج «الشاذلى» من مكتبه وأمارات الغضب تعلو وجهه فما الذى حدث أغضب الاثنين الشاذلى والعقيد حلمى؟

كان العقيد حلمى عبد الرحمن قد فوجئ بأن «الشاذلى» بدافع الحمية العربية طلـب إعفاءه من الخدمة فى الحرس الملكى ليذهب متطوعا مع القوات المصرية للحرب فى فلسطين، فرفض العقيد حلمى مطلبه وعنفه خوفا عليه، إذ كيف لضابـط فى مكانه المميز بالحرس الملكى أن يطلب الاستقالة من موقعه ليواجه أهوال الحرب والموت المحقق وسط نيرانها فى فلسطين والتى لا يعلم عواقبها إلا الله تعالى.

فأصاب «الشـاذلى» الإحباط بعد رفض مطلبه الذى أضاع منه فرصة بطولته المرتقبة التى كان يتمنى أن يحققها فى فلسـطين، لكنه فوجئ بعد هذه المقابلة بسـاعتين بأن رئيس الحـرس الملكى يعلن عن موافقة (الملك فاروق) بانضمام سـرية من الحرس الملكـى إلى الجيوش المصرية المحاربة فى فلسطين فكانت مفاجأة رائعة «للشاذلى» لم يصدق لحظتها أن أمنيتـه التى فقد الأمل فى تحقيقها منذ سـاعات قد عادت لتتحقق بأسرع مما توقع! وصدرت الأوامر بتجهيز سرية ملكية متطوعة خلال ثلاثة أيام فقط، وقام الشـعب المصرى بتوديعها فى موكب اسـتعراضى

رائع، جابت فيه السرية الملكية شوارع القاهرة من ميدان عابدين حتى محطة القطار الذى سيقلهم إلى فلسطين.

أسرار هزيمة الجيوش العربية فى حرب فلسطين

وفى ميدان القتال هناك فى فلسطين، وأثناء معركة دير ياسين ومعركة نيتا ليم، فوجئ «الشاذلى» والجيوش العربية المشاركة بعدم التكافؤ بين القوات العربية وقوات اليهود، وعكس توقعاتهم اكتشفوا أن جيش اليهود أقوى من الجيوش العربية مجتمعة والتفاوت بينهما هائل فى العُدة والعدد، وكانت المفاجأة أشد على «الشاذلى» عندما اكتشف فى ساحة القتال أن ما تعلمه فى الكلية الحربية كان تعليما نظريا على الورق، لم يتدرب فيه على القتال بما يكفى مواجهته لليهود فى هذه المعركة، حتى الأسلحة العربية كانت بدائية مقارنة بأسلحة اليهود، ذلك بالرغم من تميز العرب بسلاح الطيران وافتقاد الجيش اليهودى له، إلا أن التفوق فى هذه الحرب كان لليهود.

وعاد الشاذلى من فلسطين حزينا، يستعيد فى ذهنه تفاصيل المعركة وانشغل عقله بمزيد من التحليل لأسباب الهزيمة التى أرجعها إلى الخبرة القتالية التى اكتسبها جيش اليهود من اشتراكهم مع جيوش الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية بهدف التدريب العالى فتوافرت لديهم قدرات قتالية عالية لم تتوفر لجيش العرب، فكانوا يستخدمون

نظامـا قتاليـا منظما لم تتدرب عليـه الجيوش العربية مـن قبل، إلى جانب أسلحتهم ومعداتهم القتالية الحديثة، كما توافرت لهم الدراسة الكاملـة الدقيقة لإمكانيات الخصم العربـى الضعيف فى ذاك الوقت، لكل هذه الأسباب كان النصر والغلبة لليهود فى حرب فلسطين ١٩٤٨م.

إلى جانب أن الـدول العربية كانت وقتها تحت الاحتلال الأجنبى الذى وضع قيودا عليها، وانعكست هذه القيود على إعدادها لجيوشها، فانحصـرت مهمة الجيـوش العربية داخـل بلادها لحمايـة الحكام والأنظمـة الحاكمـة فقط ولم تكـن مهمتها الحروب مـع دول أخرى، وبالتالى لم يتم إعدادها الإعداد اللازم لمثل هذه المواجهات الشرسـة فى الحـروب، بالإضافـة إلى أن الدول العربية كانـت تعتمد فى حصولها على السـلاح بنسبة كبيرة من السوق السوداء التى كانت تبيع مخلفات الحروب أيا كانت حالة الأسـلحة المباعة، ولم يكن للمشـترين العرب الحق فى تجريب هذه الأسلحة لاختيار الأفضل من بينها، وفى نفس الوقت لم يكن أمامهم بدائل أخرى فكانوا مضطرين لشراء المعروض منها مهما كانت حالته، هذه الأسـباب كانت وراء ما أشـيع حول الأسلحة الفاسـدة التى كان فيها قدر كبير من المبالغـة فكيف للعرب بما كانوا عليه أن يأتوا بالنصر فى حرب فلسطين آنذاك؟

وانتهى عمل النقيب «سـعد الشاذلى» فى الحرس الملكى مع نهايات عـام ١٩٤٩م، ليبدأ مـع حلول أوائل الخمسـينيات مرحلة جديدة من حياته العسكرية قبل قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م.

الشاذلى يرتب مع عبد الناصر لثورة يوليو:

كانت علاقــة الجيرة التى جمعت بين «الشــاذلى» وعبد الناصر فى عمارة واحدة بحى العباســية بالقاهرة قد قربت بينهما المسافات، وكذا تزاملهما فى التدريس بمدرســة الشـئون الإدارية بالقوات المسلحة، واهتمامهما المشــترك بالقراءات السياسية لكبار الكُتاب . وكانت مصر فى هــذه الآونة تموج بأحداث عنيفة منها حريــق القاهرة، الذى أدى إلى زيادة العنف والاضطراب فى الشــارع المصرى وأشعل بدوره الغضب فــى نفوس المصريين، وأصبحوا رافضين ما يدور فى وطنهم من ظلم وفى نفس الوقت غــير قادرين على تغييره، وكان «الشــاذلى» وعبد الناصر يعيشــان نفس مشــاعر الغضب التى كانت تعيشها مصر كلها، وبسبب الثقة التى كانت بين «الشــاذلى» وعبــد الناصر صارحه عبد الناصر بأنه يرتب مع ضباط التنظيم السرى (تنظيم الضباط الأحرار) لثورة قد تكون ســببا فى تغيير التاريخ فى مصر، فتحمس «الشــاذلى» للانضمام إليهم وكان يحضر اجتماعاتهم السرية ويرتب معهم خطوات تنفيذها، إلا أن ظروفه الدراسية وقتها حالت دون مشاركته فى قيام ثورة يوليو بسبب الــدورة التدريبيــة التــى كان يتلقاها فى كلية أركان حرب وللأســف تزامنت مع قيام الثورة.

وبعد ثورة يوليو ١٩٥٢م بــدأت مصر عهدا جديدا، ووقتهــا طلب عبــد الناصــر من «الشــاذلى» أن يتولى رئاســة جهاز المخابــرات، لكن

«الشـــاذلى» رأى أن موقعه فى الجيش كان يناســـب طموحه العسكرى، وكان حبة للخدمة فى صفوف الجيش لا يعادله أى منصب.

وانتقل كل منهما (عبدالناصر والشـــاذلى) بأســـرته إلى مســـكن آخر تاركـــين وراءهما ذكرياتهما التى جمعتهما فى حى العباســـية، وظلت صداقتهما ممتدة تحمل فرص تعاون مرتقبة فى المستقبل القريب.

□□□

obeikandl.com